

## فقيد الأمة - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله تعالى

د حلق داد منک

مضى عام ٢٠٠٤م بكل ما حملته أيامه من المآسى الإنسانية والآلام والأحزان وقليل من الابتسامات والأفراح، فخصّاد إنجازات الأمة ومن تلك الخسائر العظيمة رحيل حكيم العرب الجليل، وقائدهم العظيم، مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته

ولد المغفور له بإذن الله في عام ١٩١٨م، وجاءت مشيئة الله وحكمته التي ارتأت، وبعده ستة وثمانين عاماً، قضاها زائد الخير في الخير والعمل من أجل شعبه وأمته، وبعد أن أدى الأمانة، أن يكون بجواره في الثاني من شهر نوفمبر ٢٠٠٤م الموافق ١٩ من شهر رمضان المبارك ١٤٢٥هـ، وكانت وفاته في هذا الشهر الفضيل، ترضية من الله عز وجل لشعب الإمارات بفقدانهم شيخهم وقائدهم وحكيمهم الغالي في أيام مباركة، توجهت فيها الأفئدة وارتفع فيها الدعاء طلباً للرحمة والمغفرة له من الله الواحد الأحد، وانتحب الرجال قبل النساء والأطفال حزناً على فراق والدهم الكريم وقائدهم الجليل وشيخهم العظيم المغفور له. ولكنها إرادة الله تعالى القائل في محكم تنزيله: ﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ (الملك / ٢) ونحن مؤمنون بقضائه وقدره

وبارادته وحكمته وبإيمانه  
© rasailojaraid.com

إن فقيد الأمة الشيخ زايد رحمه الله يحتل مكانة خاصة في قلوب أبناء الشعب الباكستاني، فقد كان رحمه الله صديقاً حميماً لوطننا جمهورية باكستان الإسلامية، وأن الشعب الباكستاني سيدكرله على الدوام كرمه وسخاء يده وحرصه واهتمامه بشؤون تنميتها ورفاهيتها، ففى وطننا باكستان اليوم نجد دور العلم ومستشفيات ومطارات تقف شاهدة على كرم فقيد الأمة الذى كان سخيا مع الشعب الباكستاني.

وإن شعب باكستان الأبنى تعرف الفضل لأهله، فنجد أن جميع الشعب الباكستاني يقر بفضلله وأياديه البيضاء، وكذلك نجد أن الباكستانيين لم يتفقوا كما اتفقوا على فقيد الأمة الشيخ زايد ولم يحبوا بصدق كما أحبه لأنهم يجدونه في كل موقع يتواصل إنسانياً وإسلامياً مع أهاليهم وعشائهم، وتمتد عطايه وقوافل خيرته لتؤمن المأكل والملبس لكل محتاج في أرضهم. وكان رحمه الله يحب باكستان وشعبها حباً جماً ومن المعروف لدى الجميع أنه كايحشق القنص في باكستان.

وستسجل صفحات التاريخ أن هذا الرجل الكبير هو باني ومؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة، بفضل بصيرته الثاقبة وجهده الدؤوب، وبفضل مؤازرة إخوانه حكام الإمارات ظهرت هذه الدولة إلى عالم النور فى ١٨ يوليو ١٩٧١م حيث تم الاتفاق بين الإمارات الست، وجاء فيه:

” استجابة لرغبة شعبنا العربي فقد قررنا نحن حكام إمارات: أبو ظبي و

دبي والشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة، إقامة دولة اتحادية

باسم ”الإمارات العربية المتحدة“

وفى ١٠ فبراير ١٩٧٢م انضمت إمارة رأس الخيمة إلى الإمارات العربية

المتحدة و جاءت تلك الخطوة لتبلى رغبة فقيد الأمة الصادقة في قيام اتحاد يضم جميع الإمارات المتصالحة. و من أقواله الذهبية بهذا الصدد:

“إننا نعيش في عصر لا مكان فيه للدويلات الضعيفة الهشة، وأنه لا بقاء إلا للكيانات العملاقة القوية اقتصادياً و بشرياً و عسكرياً ؛ لذلك سعيانا دائماً إلى تحقيق هذا الهدف في توجهاً تنا الوحشية على كافة الأصعدة”

إن أعمار الأمم والدول لا تقاس بعدد أيامها و سنينها إنما بتقدمها وإنجازاتها في جميع الميادين، ودولة الإمارات هي التي لها قفترات في جميع الميادين سواء كانت صحية أو عمرانية أو حضارية، و يحق لشعب الإمارات أن يفخر بما قدمه فقيد الأمة القائد العظيم، الذي تفجرت بين يديه بنا بيع الخير، فزايد الخير استطاع أن يحول الحلم إلى حقيقة. فخلال سنوات حكمة انتقل سكان دولة الإمارات العربية المتحدة من حياة الفقر إلى حياة الرخاء والازدهار مع محافظتهم في نفس الوقت على تراثهم الديني و ثقافي، وتحول شعب هذه الأرض الطيبة خلال فترة حكم فقيد الأمة من شعب يعيش حياة البدوة في الصحارى الشاسعة، و يعتمد في توفير رزقه على صيد السمك والقنص والغوص إلى شعب يسكن دولة تشهد نمواً اقتصادياً مستمراً و رخاءً متزايداً، و كان من أقواله الذهبية بهذا الصدد:

“إن أمة بلا ماض هي أمة بلا حاضر ولا مستقبل”

و تحولت الإمارات العربية المتحدة بفضل جهود ذلك الرجل العظيم إلى نموذج يحتذى باعتبارها دولة حققت خطوات هائلة على طريق النمو، و باعتبارها دولة تضم مجتمعاً متعدد الأعراق، متعدد الثقافات، يعيش فيه الجميع

في طمأنينة وسلام، ويمارسون طقوس عباداتهم في حرية وأمان بفضل ما كان يتميز به رحمه الله من الساع أفق و سماحة نفس.

وكان فقيده الأمة رحمه الله من القلائل الذين جاد بهم الدهر، فالرجل بنى دولة ووحد كلمة شعبه، وعلمهم الحب والتسامح، وقدم لهم منهجاً ينهلون منه، سيرة يترسمون خطاها و ربي لهم رجالاً ليحملوا هموم الوطن والمواطن ويحملوا عبء حماية هذه الانجازات الشامخات التي أذهلت الدنيا كلها.

وكان فقيده الأمة والدأ كريماً وقائداً حكيماً وحامل لواء الوحدة، الذي أهدى شعبه دولة عصرية مسافرة دائماً إلى المستقبل بخطى ثابتة مطمئنة ومحموسة بحكمة، إنه دعا دائماً إلى السلام والمحبة بين الشعوب، ودعا إلى عالم يسوده الحق والعدل والمساواة، إنه عمل بجهد واجتهاد في حل المنازعات وإخماد نار الحروب في العالم. وفي الوقت الذي كانت فيه الحروب والصراعات تهز مناطقنا هزاً في أفغانستان وإيران والكويت والهند وباكستان ظلت الإمارات العربية المتحدة واحة للأمان والسلام والاستقرار، إن الاحتفاظ بدولة مسالمة آمنة في منطقة تتحداها وتمزها الصراعات والحروب كان إنجازاً عظيماً يميز شخصية فقيده الأمة رحمه الله تعالى.

وكان فقيده الأمة رحمه الله قائداً فذاً يفيض طهراً وحباً وحناناً ونبلاً على الإنسانية جمعاء، فكان قلبه الكبير يسع بني البشر كلهم، إنه حافظ على المبادئ ولم يتهاون في أي حق من حقوق أمته، فكانت له مواقف لا تعدو ولا تحصى، ولا ننسى مواقفه تجاه الدول العربية والإسلامية، فهو الذي وقف مع مصر في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م فكان موقفه الشجاع في هذه الحرب مضرب المثل، وكانت

”إن البترول العربي ليس أغلى من الدم العربي“

لقد كان فقيه الأمة الشيخ زايد رحمه الله رجلاً يحمل بين ضلوعه قلباً كبيراً يتسع بالحب لجميع البشر، كان رجلاً مستعداً في أي وقت من الأوقات لبذل أقصى جهد ممكن للقضاء على الفقر والتخلف وجلب النور والتقدم والرخاء للشعوب الشقيقة في العالم الإسلامي والشعوب الصديقة في مختلف أنحاء العالم. وكانت رسل زايد تجوب الأرض لتمسح دموع اليتامى والأرامل والمنكوبين والمحتاجين في فلسطين وكشمير وأفغانستان ولبنان والصومال وكوسوفا وفي أي مكان يصرخ فيه إنسان من ألم.

وكان رحمه الله قد عرف منذ سنوات شبابه بالشجاعة والحكمة والرؤية الثاقبة واهتمامه بالزراعة وتعمير الصحراء وقناعته الكبيرة بأن الإنسان هو محور التنمية والبناء والتقدم، فقد أكد في أكثر من مناسبة :  
”إنه لا قيمة للمال إذا لم يسخر لصالح الشعب“ واتخذ من هذه المقولة شعاراً للعمل وجسدها بمرور الوقت حقيقة واقعة من خلال تلك الإنجازات الضخمة التي حققها لأبناء الإمارات، وكان رحمه الله يقول:

”إن الجيل الجديد يجب أن يعرف كم قاسى الجيل الذى سبقه، لأن ذلك يزيد صلابته وصبراً وجهاداً لمواصلة المسيرة، بدأها الآباء والأجداد، وهي المسيرة التي جسدت في النهاية الأمن القومي بعد فترة طويلة من المعاناة ضد التجزئة والتخلف والحرمان“

إن فقيه الأمة رحمه الله وضع نصب عينيه، ومنذ البداية، تحقيق رخاء ورفاهية شعبه وجعلها تنصدر كل الأولويات، وسعى رحمه الله بدأب وتابع عن كثب خطط وبرامج التنمية والمشروعات الكبرى التي وفقت لأبناءه المواطنين

مستوى متطور وراقٍ من الحياة المعيشية الحديثة التي تقوم على مرافق خدمية متقدمة وخدمات صحية وعلاجية تضاهي أرق المستويات ومدارس ومؤسسات تعليمية وجامعات تدرس لأبناء الأمة المناهج المتطورة تزودهم بأحدث العلوم والمعارف في شتى المجالات وكان رحمه الله يقول:

”إنني على استعداد لأن أعطي أكثر مما أعطيت، أعطى لأحافظ على مكاسب المواطنين، أعطى الوطن الذي كبر و نما ، سأعطي كل ما أملك وما اقدر عليه من أجل هذه الأرض وهذا الشعب، لاشئ عندي غال بالنسبة للوطن والمواطن، وسأكافح من أجل هذا“

غفر الله لفقيه الأمة الذي كان يمتلك شفافية جعلته يشعر بأهمية الثروات التي حبا الله بها دولة الإمارات، فلقد تمكن من تحويل الصحراء الجرداء إلى واحة غناء، إنه حول الرمال ذهباً وأغدق على الإماراتيين ومن حولهم من خير هذه الدولة الآمنة، ولم يقتصر الأمر على ذلك حيث قام رحمه الله بإنشاء محميات طبيعية لتربية الأجناس الحيوانية المهددة بخطر الانقراض والفناء، فكان نصيراً قوياً للمحافظة على البيئة، فاختير المغفور له بإذن الله رجل البيئة والإنماء عام ١٩٩٣ م.

و إذ كان الموت قد خطف من الأمة الإسلامية حكيماً وقائدها فإن لها في أنبائه الكرام خير خلف لخير سلف، ففي الثالث من نوفمبر ٢٠٠٤ م تولى صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان ، حفظه الله و رعاه، مقاليد الحكم ليصبح رئيساً لدولة الإمارات العربية خلفاً للمغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد، طيب الله ثراه، كما تولى الفريق سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولاية العهد في أبو ظبي ليكملا مع أخوانهما وأشقائهما مسيرة الخير والبناء والعطاء والتنمية

والرخاء، تلك المسيرة العطرة التي وضع لبناتها الأولى فقيد الأمة الغالي، زائد  
 الخير والمحبة ورسخ أسسها في نفوس أنجاله و أبناء شعبه الكرام .  
 وفي النهاية نبتهل للمولى العلى القدير أن يشمل فقيد الأمة بوسع رحمته  
 وأن يسكنه فسيح جناته مع الشهداء والصديقين مع دعوات و أمنيات صادقة  
 لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة ، حفظه الله ورعاه،  
 بالتوفيق والسداد في تحمل هذه المسؤوليات الجسام وأن يجعله دوماً خير خلف  
 لخير سلف و أن يوفقه و إخوانه أصحاب السمو و أعضاء المجلس الأعلى و حكام  
 الإمارات في حمل راية الإمارات والبقاء عليها دائماً عالية خفاقة و في تحقيق مزيد  
 من النمو والازدهار .

